القرآنيون والسنة النبوية
"الدكتور محمد شحرور نموذجاً"

الدكتور محمد يوسف الشربجي
قسم وعلوم القرآن والسنة
جامعة دمشق

الملخص

القرآنيون _كما يحبون أن يسموا _ فرقة تدعي أن الإسلام هو القرآن وحده، وأن السنة النبوية إنما هي مرحلة تاريخية خاصة بمن كان في عصر الرسول ﷺ، وفي الحقيقة أنهم أبعد الناس عن هذا المصطلح، ومن هؤلاء المهندس د. محمد شحرور الذي يدعي بعد أن تكلم ما تكلم عن القرآن والسنة أنه محب ولرسوله..على عادتهم كما فعل أشياعه من قبل الطبيب توفيق صدقي وغيره.

وخلاصة كلام الدكتور المهندس شحرور في كتابه (الكتاب والقرآن) قراءة معاصرة: إنكار السنة النبوية، وأنها مرحلة تاريخية لأن النبي ﷺ لم يأمر بجمعها، وأن النبي ﷺ إنما هو إنسان عادي عاش في شبه جزيرة العرب، وأننا نحن أفهم من الصحابة لأننا _ كما يقول _ أقدر منهم في حل مشاكلنا في هذه الأيام لأن الصحابة رضوان ا عليهم لم يعيشوا بيننا..

وأن تعريف السنة "كل ما أثر عن رسول ا ﷺ من قول أو فعل أو تقرير..." ليس صحيحاً، لأنه ليس من وضع الرسول ﷺ ولا الصحابة، وأما التعريف المعاصر للسنة فهو بزعمه: " منهج في تطبيق أحكام أم الكتاب بيسر وسهولة "

بهذا المنطق الغريب (غير المفهوم) يضللون عقول الناس وأفكارهم، ولذلك كان من الواجب الرد عليهم وتبيين زيف آرائهم وبعدهم عن الحق والصواب، وهذا ما تناولته في هذا البحث.

المبحث الثالث:

الرد على شبهات الدكتور شحرور حول السنة النبوية

إن من يقرأ كتاب الدكتور شحرور (الكتاب والقرآن _ قراءة معاصرة) يلمح فيه الدراسة المعاصـرة للقرآن الكريم، (وأقصد الخروج عن أصول البحث العلمي وقواعده) هذه الدراسـة المعاصـرة التـي أفصح عنها مقدم الكتاب الذي يعده أستاذه في علوم اللغة العربية وفقهها صديقـه الدكتـور جعفـر دك الباب الذي قال في مقدمته على الكتاب:" لن أركز في تقديمي على الموضوعات الهامــة (كـذا) التي بحثها المؤلف في الكتاب، لأنه سيعرضها بنفسه في المقدمـة... ولكني أنـوه بـأن الصـديق الدكتور المهندس محمد شحرور مؤمن إيماناً راسخاً بأن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لمحمدﷺ، لأنه خاتم الأنبياء والرسل... وأن القرآن صالح لكل زمان ومكان.

ويقول: " لقد توصل الدكتور شحرور في قراءته المعاصرة إلى نتائج جديدة مغايرة لما هو سائد الآن في التراث العربي الإسلامي، وذلك بفضل المنهج اللغوي الذي طرحته لدى دراسـتي ((الخصـائص البنوية (هكذا) للعربية، في ضوء الدراسات اللسانية)) وتبناه المؤلف يقصد د. شحرور في كتابه.

من هنا نلمح عدم تعرضه للسنة النبوية في تعريفه بالكتاب، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل علـى موقف من السنة النبوية لا يريد الإفصاح عنه في المقدمة.

ثم لنرى ما الجديد الذي قدمه الدكتور المهندس شحرور في قراءته المعاصرة:

بداية طرح المشاكل الآتية على الفكر الإسلامي المعاصر وهي:

1 _ عدم التقيد بمنهج البحث العلمي.

2 _ إصدار حكم مسبق على مشكلة ما قبل البحث ومثل لذلك " المرأة في الإسلام ".

3 – عدم الاستفادة من الفلسفات الإنسانية.

4 – عدم وجود نظرية إسلامية في المعرفة الإنسانية.

5 _ (وعليه) إننا بحاجة إلى فقه جديد معاصر، وبحاجة إلى فهم معاصر للسنة النبوية.

و ذكر أنه ينبغي طرح الفقه الإسلامي الموروث وأعطى هو بديلاً عنه في دراسـته للمـرأة، قـال: "فنتجت لدينا أحكام لم تكن عند الفقهاء كلهم" [25]

---

[25] _ الكتاب والقرآن: 32.

و من يقرأ موضوع المرأة يعي ماذا يقصد وخاصة في موضوع الحجاب.

ثم أجرى مسحاً شاملاً للكتاب الموحى، فتبين له أنه يحتوي على الخاصية التالية (هكذا) وهي:

1 _ أن ا تعالى مطلق، وبالتالي فإن كتابه يحمل الطابع نفسه المطلق في المحتوى.

2 _ وأن هذا الكتاب يحمل طابع النسبية في الفهم الإنساني.

3 _ ويجب أن يصاغ الكتاب بلغة إنسانية، تحتوي المطلق الإلهي في المحتوى والنسبية.

ثم وجد هذه الخاصية في الآيات المتشابهات،ووجد ثلاثة أنواع من الآيات في الكتاب، وطبعاً لم يقـم بهذا التصنيف إلا بعد أن تم تحديد الفرق بين النبوة والرسالة، فالنبوة: هي مجموعة من المعلومات أوحيت إلى النبي ﷺ وبها سمي نبياً، أي أن كل الأخبار والمعلومات التي جاءت فـي الكتـاب هـي النبوة.

والرسالة: هي مجموعة التشريعات التي جاءت إلى النبي ﷺ بالإضافـة إلى المعلومات، فأصبح بها رسولاً، فالنبـوة علوم، والرسالـة أحكام.

أي إن نظرية الوجود الكوني والإنساني وتفسير التاريخ هي من النبوة، وهي من الآيات المتشابهات.

أما التشريع من إرث وعبادات، ومعها الفرقان العام "الأخلاق" والمعـاملات والأحـوال الشخصـية والمحرمات فهي الرسالة، أي الآيات المحكمات.

وهناك نوع ثالث من الآيات وهو الآيات الشارحة لمحتوى الكتاب، فهـي لا محكمـة ولا متشـابهة، ولكنها من النبوة حيث تحتوي على معلومات.

لذا فإن الكتاب من حيث الآيات ينقسم إلى ثلاثـة أقسام:

1 _ الآيات المحكمات: وهي التي تمثل رسالة النبي ﷺ وقد أطلق الكتاب عليها مصطلح "أم الكتاب"، وهي قابلة للاجتهاد حسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية ما عدا العبادات والأخلاق والحدود.

2 _ الآيات المتشابهات، وقد أطلق عليها الكتاب مصطلح "القرآن والسبع المثاني" وهي قابلة للتأويل وتخضع للمعرفة النسبية وهي آيات العقيدة.

3 _ آيات لا محكمات ولا متشابهات، وقد أطلق عليها الكتاب مصطلح " تفصيل الكتاب ".

وبناء على ذلك فهو يرى أن التحدي للناس جميعاً بالإعجاز إنما وقع في القسمين الثـاني والثالـث، حيث أن هذين البندين يشكلان نبوة محمد ﷺ (هكذا يقول)[26].

ثم يتكلم عن الفرق بين الكتـاب والقـرآن والفرقـان والذكـر، ولا أريـد الإطالـة فـالكلام غيـر الواضح عنده كثير، ونأتي إلى الموضوع المهم المتعلق بالسنة فما الجديد عنده ؟

قال: " يبقى السؤال الهام وهو موقفنا من النبي ﷺ أو من السنة ؟

هنا يجب علينا وضع النقاط على الحروف بالنسبة للنبي ﷺ، فهناك موقفان أساسيان متمايزان منه.

_ الموقف الأول منه نبياً مع ما نكن له من عظيم الحب والاحترام والتقدير.

_ والموقف الثاني منه مشرعاً.

أما الموقف الأول فإنه لا يتصور مسلماً عربياً يقف موقفاً سلبياً من النبي ﷺ، لأن هذا خيانة.

أما موقفه من النبي ﷺ مشرعاً فهو موقف دقيق جداً، إذ كيف يمكن أن نقول: " إن ما فعله النبي ﷺ هو الاحتمال الأول _ يقصد كونه نبياً _ لتطبيق الإسلام في القرن السابع، وفي شبه جزيرة العـرب، وبالوقت نفسه نقرأ الآية: ﴿لقـد كان لكم في رسـول الله أسـوة حسنة﴾ [الأحزاب: 21].

هنا وصل إلى النتيجة التي لم يجرأ أن يصرح بها وهي إنكار السنة النبوية قال: " لقد بحثنا في السنة فوجدنا أن تعريف السنة بأنها " كل قول أو فعل أو إقرار أو نهي قام به النبي ﷺ " إنما جاء من قبـل الفقهاء وليس من قبل النبي نفسه، حيث كان النبي ﷺ يصر على تدوين الكتاب، وكان فـي الوقـت نفسه يأمر الناس بعدم تدوين أقواله الشخصية، فمن هذا خلصنا إلى مفهوم معاصر للسنة النبوية"[27].

إن من يقرأ للدكتور شحرور وأضرابه من المتفلسفين كالدكتور محمد أركون وعبد المجيد الشـرفي ونصر حامد أبو زيد وغيرهم يقف على أمر عجيب وغريب وهو أنك للوهلة الأولى لا تفهم عليهم ما يقولون، فيصمون أذنيك بعبارات لو سألت الواحد منهم عن معناها لما عرف، وقد تحدى مرة أستاذنا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي محمد أركون في إحدى الملتقيات في الجزائر " أن يفصح عمـا يقوله بعبارات توافق قواعد اللغة العربية المجمع على صحتها " فلم يستطع وبهت الرجـل، وكـذلك الشأن بالنسبة للدكتور شحرور، وإن كان أفصح من الآخر لساناً، على أنه يهـوى اللغـة العربيـة وفقهها كما ادعى، فنقرأ في القراءة المعاصرة عن لغة القرآن الكريم ما قاله الدكتور المهندس: "بما أن نمط التفكير الإنساني لا يمكن أن يتم بدون (كذا) لغة، فيجب أن يصاغ الكتاب بلغة إنسـانية أولاً،

[26] _ الكتاب والقرآن: 37.

[27] _ الكتاب والقرآن: 38_39.

وثانياً: أن تكون هذه الصياغة لها طابع خاص وهو أنها تحتوي المطلق الإلهي في المحتوى والنسبية الإنسانية في فهم المحتوى، وهذا ما نعبر عنه بثبات الصيغة اللغوية "النص " وحركة المحتوى"[28].

فلو أردنا أن نحلل النص السابق ماذا نفهم من قوله: "يجب أن يصاغ الكتاب بلغة إنسانية "وما معنى ثبات الصيغة اللغوية وحركة المحتوى؟

ثم كيف حكم على القرآن الكريم أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام والذي يهمنا هو القسم الثالث "آيات لا محكمات ولا متشابهات" وكيف دخلت برأيه تحت تفصيل الكتاب؟ والله تعالى يقول: ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ [آل عمران: 7] فالله تعالى قسم كتابه إلى محكم ومتشابه، فمن أين يأتي القسم الثالث؟ إن هذا لأمر عجاب!!

ثم إذا كان هو يرفض تعريف العلماء والفقهاء للسنة لأنه جاء من قبلهم،ولم يرد عن رسول الله ﷺ أو الصحابة ﷺ، ومن ثم فهو قابل للنقاش والأخذ والرد _ كما يقول[29] _ فكيف أرانى أقبل بتعريفه هو، اللهم إلا إذا كان يزعم أنه استقاه من النبي ﷺ، وكيف نصل إلى تعريف للسنة بناء على فرضيته هو؟

ثم لنرى ما الجديد الذي قدمه لنا في تعريفه للسنة؟

إن الدكتور شحرور ينطلق من أمر خطير جداً وهو التمايز بين حديث رسول الله ﷺ وبين سنة الرسول ﷺ، فالأحاديث النبوية برأيه _ كما مر _ إنما هي مرحلة تاريخية لم يأمر النبي ﷺ بجمعها، ولم يفعل الصحابة ﷺ ذلك، لعلمهم أنها لم تكن في وقت من الأوقات وحياً من الله تعالى، وإنما كانت نتيجة تعامل مع واقع معين في ظروف معينة عاشها النبي ﷺ.. أما السنة فهي بزعمه حياة النبي ﷺ كنبي وكائن إنساني عاش حياته في الواقع، وهنا يعترف بالوحي للرسول ﷺ (في نطاق ضيق) بالإضافة إلى أنه عاش حياته الطبيعية في شبه الجزيرة العربية، في القرن السابع الميلادي.

وهنا نقول للدكتور كيف تقبل سنة رسول الله ﷺ (الموحى إليه) وهي التي لم يأمر بجمعها أيضاً ولم يكتبها الصحابة ﷺ، ومن أين جاء هذا التفريق بين السنة والحديث؟ وعند الكثير من العلماء أن السنة والحديث النبوي مترادفان، والنبي أو الرسول _ كما يدعي _ إنسان عاش في شبه الجزيرة العربية بكل ما كان يحيط بها من ظروف جغرافية وتاريخية وثقافية وسياسية. فكيف جاء هذا التفريق؟

---

[28] _ الكتاب والقرآن: 36.

[29] _ المرجع السابق: 548.

و من المعروف عند المحدثين أن السنة هي كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعـل أو تقريـر أو صفة خلقية أو خُلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها [30] ".

قال الدكتور السباعي بعد أن أورد التعريف السابق: " وهي بهذا ترادف الحديث عند بعضهم "[31].

بعد هذا الذي اصطلح عليه علماء الحديث في تعريفهم للسنة النبوية الشريفة، لنرى ما الذي يريـده الدكتور شحرور من مخالفته جمهور المحدثين في تعريفهم للسنة، وتفرده بوضع تعريـف معاصـر للسنة النبوية.

قال: "السنة: هي منهج في تطبيق أحكام أم الكتاب بسهولة ويسر، دون الخروج عن حدود ا فـي أمور الحدود، أو وضع حدود عرفية مرحلية في بقية الأمور، مع الأخذ بعين الاعتبار عالم الحقيقة " الزمان والمكان والشروط الموضوعية التي تطبق فيها هذه الأحكام"

إن الذي يريد أن يصل إليه هو أن السنة إنما تعمل في أحكام أم الكتاب، وأم الكتاب بناء على تقسيمه القرآن، تمثل رسالة النبي ﷺ، وهي قابلة للاجتهاد حسب الظروف الاجتماعية والاقتصادية مـا عـدا العبادات والأخلاق والحدود.

ويقول: " ثم إن الأحكام " أم الكتاب "جاءت من ا مباشرة وليست من اللوح المحفوظ، أو إمام مبين، وهي التي تمثل الرسالة وتحتوي على الحدود والعبادات والأخلاق والذي قال ا عنها: ﴿يمحو ا ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [الرعد: 39] فهي ليست قديمة لأنها ليست كلام ا وإنما هي كتـاب ا ".[32]

إن الذي يسترعي انتباهك أول ما تقرأ لأمثال هؤلاء هو عدم الفهم، بحيث تتعب في الوصـول إلـى المقصود، لأنه على خلاف الأصول العلمية التي وضعها العلماء واتفقت عليها الأمة إلى يوم الـدين، فكيف فرق بين القرآن وأم الكتاب، والسنة النبوية والحديث النبوي[33]، فالقرآن برأيه فرق بين الحق والباطل، وأم الكتاب فرقت بين الحلال والحرام (السلوك الإنساني) فالشريعة والأخلاق والعبادات بناء

---

30 _جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق محمد بهجة البيطار (ط.عيسى البـابي الحلبـي، مصر: 1934م) ص 35، وطاهر الجزائري، توجيه النظر إلى علوم الأثر (ط. مصر 1328 هـ) ص 3.

31 _ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: 47.

32 _ الكتاب والقرآن: 548.

33 _ سبق أن ذكرت ما قاله عن السنة والحديث ص: 8 وما بعدها من هذا البحث.

على هذا كما يقول لا علاقة لها بالقرآن، لأن "القرآن حقيقة موضوعية مطلقة في وجودهـا خـارج الوعي الإنساني"[34].

ويريد أن يثبت أن السنة فقط للحدود حيث يقول: " وبما أن رسالته تقوم على الحدود فهو الرسـول الوحيد الذي سمح له بالاجتهاد لأنه الخاتم، ولكي يعلم الناس أن يجتهدوا لوحدهم من بعده، حيث أن الإسلام هو تشريع إنساني ضمن حدود ا "[35].

فهمنا إذاً ماذا يريد، يريد أن لا يعطي السنة النبوية القدسية بحيث هنـاك حـدود معينـة لا يمكـن تجاوزها في الوحي، وأما ما عداها فهو قابل للنقاش والأخذ والرد والاجتهاد، ومن ثم ميـع الأمـور وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه بحيث يجتهد كل واحد حسب علمه وفكره وتصوره " فـلا قوالـب جاهزة مسبقاً، ولا توقيف لحركـة التاريخ في الإسلام "[36]، " وأن كل التشريعات غير الإلهيـة تحمل طابع الضرورة المرحلي وعلمنا أن نشرع بأنفسنا "[37]

وإذا كان الدكتور شحـرور هو الأسوة والقدوة للاجتهادات المعاصرة فنسأل ا تعالى السلامة ممن سيأتي ويسير على نهجه ويجتهد في الإسلام كما اجتهد هو ؟! و من سن سنة سيئة فعليـه وزرهـا ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

هذا الذي يريد الوصول إليه، سنة مرنة توافق الهوى والشهوات، ولكن دون الخروج عن حدود ا ، وأما ما عدا الحدود والأخلاق والعبادات كما يقول: " فهي أحكام مرحلية وحدود مرحلية لا علاقة لها بحدود ا ، ولا تحمل صفة الأبدية كحدود ا ، ويقول: " مثـل منـع التصـوير والنحـت والرسـم والموسيقى والغناء ولبس الذهب واستلام المرأة لمناصب في الدولة"[38]. فهل يرضى الرسول ﷺ لنا ذلك ؟ ولنترك الجواب للسيد الدكتور شحرور.

ثم أليست هذه الأمثلة التي ذكرها الدكتور شحرور تدخل ضمن أحكام أم الكتاب، (الحـلال والحـرام) ومن ثم فإن تعريفه المعاصر للسنة: "منهج في تطبيق أحكام أم الكتاب بسهولة ويسر...إلخ" فكيـف

---

34 _ الكتاب والقرآن: 103.

35 _ الكتاب والقرآن: 549، ولا يخفى على القارئ ما في النقل من أخطاء لغوية، وعلى سبيل المثال "لوحدهم" فالأصل فيهـا "وحدهم".

36 _ المرجع السابق: 548.

37 _المرجع السابق: 553.

38 _ المرجع السابق: 553.

يجري هذا المنهج في تطبيق السنة على هذه الأحكام مع أن الرسول ﷺ يقول عن الذهب والحرير "هذان حرام على ذكور أمتي، حل لإناثها" [39] ؟

وللخروج من هذا الإشكال، فلسف الأمور كما يريد وقسم الطاعة إلى متصلة ومنفصلة، فالطاعة المتصلة واجبة للرسول ﷺ في حال حياته وبعد مماته، وهذه الطاعة جاءت حصراً في الحدود والعبادات والأخلاق "التي سماها: الصراط المستقيم " وعلى سبيل المثال _ كما ذكر _ لباس المرأة الوارد في الآية رقم 31 من سورة النور[40]، قال في هذه الآية: " ورد الحد الأدنى للباس وهو ما يقال عنه اليوم اللباس الداخلي، ووضع الرسول ﷺ الحد الأعلى للباس المرأة بقوله: " كل المرأة عورة ما عدا وجهها وكفيها" [41]، فطاعة هذا الحديث هو كطاعة الآية وليس أقل، أي إذا خرجت المرأة عارية في الطريق كما خلقها الله فقد تعدت حدود الله في اللباس، وإذا خرجت مغطاة تماماً يدخل في غطائها الوجه والكفان، فقد خرجت عن حدود رسوله."[42]

أما الطاعة المنفصلة فهي الطاعة للرسول في حياته لا بعد مماته أي في الأمور اليومية والأحكام المرحلية، هنا ندرك أنه أفصح عن رفضه للسنة النبوية أو الحديث النبوي بعد تفريقه الأعوج بينهما، فقال: " فكل شيء قاله النبي ﷺ في أمور لم يرد ذكرها في الكتاب بتاتاً وقال فيها هذا ممنوع وهذا مسموح فمعناها أنها أحكام مرحلية وحدود مرحلية لا علاقة لها بحدود الله "[43].

إذاً الرجل قدم وأخر، ومهد وعرض، ثم ما فتئ أن صرح برأيه وأعلن موقفه من السنة النبوية قائلا: " من هذا المنطلق يجب علينا فصل الأحاديث التي تتعلق بالحدود والعبادات والأخلاق على حدة، أي أحاديث الصراط المستقيم" [44].

ونقول للدكتور شحرور: إن الله عز وجل جعل طاعة الرسول من طاعة الله، وطاعة الله من طاعة الرسول ﷺ، والآيات في ذلك كثيرة، دون التفريق بين ما ذكره من انقطاع واتصال، فالله تعالى يقول:

---

39 _ أحمد في المسند رقم (738) وأبو داود في اللباس، باب: في الحرير للنساء، رقم (3590) وغيرهما.

40 _ وهي قول الله تعالى ﴿وقل للمؤمنات يغضض من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها..﴾.

41 _ لم أجد هذا الحديث بهذه الصيغة في جامع الأحاديث في موقع السنّة على الإنترنت، والموجود بعكسه تماماً ((كل شيء من المرأة عورة حتى ظفرها)) أخرجه ابن أبي شيبة في النكاح، باب: في الغيرة وما ذكر فيها، رقم (13718) وأما ما ذكره الدكتور فقد ورد بروايات أخرى مثل " إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه ﷺ وكفيه، والحديث مرسل،انظر البيهقي، السنن الكبرى، في الصلاة، باب: عورة المرأة، رقم (2993). وللحديث روايات غيرها.

42 _ الكتاب والقرآن:550 _551.

43 _ المرجع السابق: 552.

44 _ المرجع السابق: 553.

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ ويقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾ [الأنفال: 20] ويقول ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [الأنفال:24] ويقول: ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ [الأنفال: 46]، وهناك آيات فيها الأمر بطاعة الرسول فقط فماذا يقول عنها فضيلة الدكتور المهندس ؟ هل تدخل تحت القسم الأول أو الثاني ؟؟ منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: 7]، وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ [النساء: 64].

والله تعالى جعل طاعة الرسول ﷺ واجبة حتى في الأمور الشخصية _ وهذا قد لا يعجب الدكتور شحرور _ مثل قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾ [الأحزاب: 36] وهذه الآية في قضية شخصية، كما أخرج الطبري[45] أنها نزلت بسبب قول زينب بنت جحش لرسول الله ﷺ لما خطبها لفتاه زيد أؤامر نفسي، فلما نزلت قالت رضي الله عنها قد أنكحته نفسي، لا أعصي لك _ يا رسول الله _ أمراً، فإذا كان ذلك كذلك فما بالك بوجوب طاعته واتباعه ﷺ في سائر العلوم.

أما الأحاديث النبوية " فقد تواترت_ كما يقول الدكتور نور الدين عتر_ في وجوب الأخذ بهديه ﷺ في كل شيء من الأمور صغيرها وكبيرها، جليها وحقيرها، على منشط النفس ورضاها، أو على كراهيتها وإبائها ومخالفة هواها "[46].من ذلك قوله ﷺ " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ.. "[47].

وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يكرر "إن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها "[48]، والأحاديث في ذلك كثيرة جداً، وما أخال الدكتور شحرور غافلاً عنها، ولا أدري تحت أي قسم يضعها!!

و العجيب في الأمر أنه هو نفسه خالف منهجه في التفريق بين مفهوم النبوة والرسالة عندما قال " النبوة علوم والرسالة أحكام... وهكذا نفهم أن السنة النبوية هي اجتهاد النبي في تطبيق أحكام الكتاب " فهنا يسند الاجتهاد إلى النبي ﷺ وليس إلى الرسول على حد زعمه فخالف في هذا ما ارتآه من تقسيم للسنة النبوية.

---

45 _ الطبري، جامع البيان (تصوير عن الطبعة المصرية، بولاق، دارالمعرفة، بيروت: 1978م) 9/22.
46 _ د. عتر، منهج النقد في علوم الحديث(ط. دار الفكر، دمشق: 1979م): 23.
47 _ أبو داود في السنة، باب: لزوم السنة بلفظه رقم 4054.
48 _ مسلم:في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة رقم (1493).

ثم إن هذا التقسيم الذي خرج به علينا تحت عنوان (قراءة معاصرة) غير مسلّم، فمن قال به من العلماء سابقاً، وعلى أي أساس علمي استند في تقسيمه القرآن والكتاب،وهل المعاصرة تعني الخروج على المألوف أو على الأصول، وإذا كان ذلك كذلك، فكل واحد منا قادر على أن يقرأ ما شاء من القراءات ولا يفهمها الناس، ويدعي أنها معاصرة، وأن المشكلة في الناس لا فيه على حد قول أبي تمام عندما سئل: " لم تقول ما لا يفهم ؟ فأجاب ولم لا تفهمون ما أقول".

وأخيراً ولو سلمنا للرجل بكل ما قاله من إهدار للسنة النبوية، وعدم العمل بها إلا في جانب الحدود كما يقول، وأن نعمل بالقرآن الموحى إليه، فإن القرآن الكريم نفسه لم يسلم منه، فهو يريد قرآناً تقدمياً يتماشى مع معطيات القرن العشرين، يقول: " إننا في القرن العشرين قادرون على تحويل القرآن من مطلق إلى نسبي"[49].

ويقول: " إن المغالطة الكبرى هي أننا نريد أن نفهم الإسلام فنرجع من القرن العشرين، إلى القرن السابع في طريقة تفكيرنا، أي أننا نريد أن نفكر كما فكروا هم وهذا مستحيل "[50].

أقول: إن المغالطة الأكبر أن نقيس أنفسنا بحال الصحابة الكرام الذين زكاهم ا تعالى في كتابه الكريم، وجعله قرآناً يتلى إلى يوم الدين، فقال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ [آل عمران: 110] وقال تعالى: ﴿محمد رسول ا والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: 29]، ورسول ا ﷺ يقول عن أصحابه: " لا تسبوا أصحابي، فالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه "[51].

وقد أجمعت الأمة على أن الصحابة كلهم عدول، ولا يبحث عن عدالة أحد منهم، قال ابن عبد البر في (الاستيعاب): " قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين _ وهم أهل السنة والجماعة _ على أنهم كلهم عدول "[52].

والأعجب من هذا أنه يطالب ثانية عدم فهمه بشكل مغلوط، فهو يقدر الصحابة ويحترمهم ولكنه: "يجب علينا أن نعطيهم قيمتهم التاريخية النسبية دون أن نضعهم في المطلق".[53]

---

[49] _ الكتاب والقرآن: 567.

[50] _ الكتاب والقرآن: 566.

[51] _ البخاري في فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ " لو كنت متخذاً خليلاً " رقم (3470) 3/ 1343، ومسلم في فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ، رقم (2540) 4 / 1967.

[52] _ ابن عبد البر المالكي، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بهامش الإصابة (ط. دار الكتاب العربي، بيروت: د. ت.) 1 / 8.

ما المراد بالنسبية والمطلق عنده ؟ ومن منا يقدس الصحابة حتى يجعلهم معصومين، أو ليس قال الرسول ﷺ عنهم خير القرون، وأنه علينا أن نتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده "[54]، ثم ما هذه المغالطة التي يفرضها في السؤال الذي طرحه:

"هل نحن أفهم من الصحابة في فهم الكتاب؟" وكيف يتجرأ ويقول في الجواب نعم ولا في آن واحد !![55]، ومن منا يتجرأ في هذا القرن (قرن العجمة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى) ويقول عن نفسه: إنه أفهم من الصحابة الكرام في فهم الكتاب _ كما يحب أن يسميه _ والدكتور شحرور نفسه لا يفرق بين المذكر والمؤنث [56] في الكثير من الحالات منها على سبيل المثال ما ذكره في ص (552) عندما قال: "فكل شيء قاله النبي ﷺ في أمور لم يرد ذكرها في الكتاب... فمعناها أنها أحكام مرحلية " والصواب أنه (لأنه يعود على شيء)، ثم يدعي بعد ذلك أنه أفهم من الصحابة الكرام الذين تتلمذوا على رسول ا ﷺ.

ثم ما هذا الرابط العجيب بين فهم الصحابة للكتاب وبين مشاكلنا المعاصرة، عندما يجيب عن السؤال المطروح فيقول: "نحن أفهم من الصحابة في فهم الكتاب، لأن الصحابة لا يعرفون عن مشاكلنا المعاصرة التي نعيشها نحن في القرن العشرين شيئاً".

وعلى فرض أن الصحابة الكرام ﷺ، لو وُجدوا في القرن العشرين!! ترى هل يبقى تفكيرهم في حل مشاكلهم المعاصرة هو نفسه في القرن السابع؟! أعتقد أن هذا الأسلوب هو الذي يفهمه الدكتور شحرور، وأطلب الإجابة عنه؟

ثم إن من المفارقات العجيبة أيضاً أن الكتاب (الكتاب والقرآن) إنما ألف في الأصل للتفريق بين الكتاب والقرآن حسب قوله[57]، ولكننا نجده هنا لم يميز بينهما فقال: "إننا قادرون على نقل الكتاب من عالم المطلق إلى عالم النسبية" وفي الصفحة التي تليها يقول: " "إننا في القرن العشرين قادرون على تحويل القرآن من مطلق إلى نسبي" فإذا كان هو نفسه لم يلتزم بمنهجه المعاصر الذي أبهر العالم

---

[53] _ الكتاب والقرآن: 567.

[54] _ سبق تخريجه ص 21.

[55] _ الكتاب والقرآن: 566.

[56] _ سبق أن ذكرت أن هناك كتباً ألفت خصيصى للرد على أخطائه اللغوية والنحوية، منها على سبيل المثال: كتاب (بيضة الديك) للدكتور يوسف الصيداوي.

[57] _ القرآن فرق بين الحق والباطل وهو النبوة، والكتاب مجموعة المواضيع التي أوحيت إلى محمد ﷺ من ا في النص والمحتوى، انظر تفصيلات ذلك في (الكتاب والقرآن) ص56 وما بعدها.

بخروجه عن أصول البحث العلمي، والقواعد اللغوية، فكيف يلزمنا بشيء لم يستطع تطبيقـه علـى نفسه؟

هذا باختصار خلاصة ما عرضه الدكتور شحـرور من أباطيل وأضاليل وعبارات سفسطائية ما أنزل ا بها من سلطان، ويتمنى علينا أن نفهمه بدقـة وأن لا نظن أنه ينكر السـنة أو يـرد الحـديث، فالرجل يخاف ا ، وكيف يفعل وقد سمع قول الرسول ﷺ " ألا هل عسى رجل يبلغه الحـديث عنـي فيقول بيننا وبينكم كتاب ا "[58].

فكيف نوفق بين ما أثبته سابقاً وكرره في كل كتابه، وبين ما يعتذر عنه في آخر البحث، ويطلب منا عدم سوء الظن به؟

أترك الحكم عليه للقارئ، وا من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الخاتمة وأهم النتائج:

بعد أن استعرضت باختصار جانباً من الجوانب الخطيرة التي ذكرها الدكتور المهندس محمد شحرور في كتابه الموسوم (الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة) وهو موضوع القـرآن والسنة النبوية، يمكـن أن ألخص أهم مـا جاء فيه:

1 _ إن الذي تميل إليه النفس أن الدكتور شحرور ليس هو الوحيـد الذي قـام بتأليف الكتاب، وإنما أعانه عليه قوم آخرون، اعترف الدكتور بمساعدة بعضهم وهو الدكتور جعفر دك الباب، أسـتاذ اللغة العربية، وأغفل الحديث عن الباقين، ومن هنا نفهم ركاكة الأسلوب وتفاوته في الكتاب.

2 _ إن ما جاء به الدكتور شحرور ليس جديداً، وليس فيه قراءة معاصرة للكتاب والقرآن اللهـم إلا هذه المصطلحات التي اعتاد هو وأمثاله مثل الدكتور أركون أن يبهروا الناس بها لأنهـا كلمـات جوفاء لا معنى لها في اللغة العربية المقدسة، وإنما نقلت أو ترجمت من لغات أخرى، لو سـألته نفسه عن معناها، لم يهدك دليلاً، ولم يرشدك إلى الحق سبيلاً، وهذا ما حصل له في كثيـر مـن التناقضات.

3 _ إن من القواعد العلمية التي وضعها علماؤنا لمن يتصدى للتفسير، أن ينظر فيمن تقدمـه مـن المفسرين، وأن يضيف إلى ما ذكروه إن كان عنده ما يقول، أما أن يضرب بعرض الحائط آثـار

---

[58] _ سبق تخريجه ص 3.